"دور الشافعيّة في الحياة الفكرية في مصر الطولونية"

(٢٥٤ - ٢٩٢هـ / ٨٦٨ - ٩٠٥م)

د/ هبة عبد المقصود مرسي
مدرس التاريخ الإسلامي
كلية التربية . جامعة عين شمس

ملخص:

بدأت بوادر الاستقلال الفكري والثقافي في مصر مع قيام الدولة الطولونية فيها سنة ٢٥٤هـ/ ٨٦٨ م. وقد تزامن مع قيامها انتشار تلاميذ الإمام الشَّافِعِيّ وبداية عملهم على نشر مذهب أستاذهم وترسيخ قواعده بعد وفاته، بعد أن وجدوا في مصر الطولونية تربة صالحة لمزاولة أنشطتهم في الحياة الفكرية.

يتعرض البحث لدور فقهاء الشافعية المؤثر والمهم في تحقيق الاستقلال الفكري والثقافي في مصر من خلال: دراسة دورهم في مصر قبيل العصر الطولوني، ثم دراسة العلاقة بين فقهاء الشافعية والطولونيين، وتسليط الضوء على إسهامات الشافعية في مجال العلوم الشرعية، وكذلك إسهاماتهم في مجال العلوم اللغوية والأدبية.

وقد بيّن البحث أن فقهاء الشافعية نشطوا نشاطًا علميًّا وفكريًّا ملحوظًا في مجالات العلوم الشرعية وتشمل: الفقه وأصوله، وعلم الحديث، وعلم القراءات، وعلم التفسير، وكذلك في العلوم اللغوية والأدبية مثل: اللغة والشعر، والنحو، والتاريخ، وتركوا بصمات واضحة في هذه العلوم للعصور اللاحقة.

Abstract:

The signs of intellectual and cultural independence began in Egypt with the establishment of the Tulunian state in (254AH /868 AD). It coincided with the spread of the disciples of Imam Shafei, and the beginning of their work to propagate the doctrine of their professor, and the consolidation of the rules after his death, after they found in Egypt Tulunian fertile soil to carry out their activities in intellectual life.

The research explores the role of Shaafa'is Jurisprudence influential and essential in achieving intellectual and cultural independence in Egypt. during : Studing their role in Egypt before the Tulunian era, and then Studing the relationship between the Jurisprudences of the Shaafa'is and the tulunites. And to highlight the contributions of the Shaafa'is in the field of legitimate sciences as well as their contributions in the field of linguistic of literary sciences.

The research has shown that the Jurisprudences of the Shaafa'is had a remarkable scientific and intellectual activity in the fields of legitimate sciences including : Jurisprudence and its fundamentals, Hadith science, the science of Quraan reading, and the science of Quraan interpretation. As well as in linguistic of literary sciences such as: language and poetry, Grammer, History. and left visible impressions in these sciences later ages.

**** مقدمة**:

شهدت الفترة الأولى من العصر العباسي الثاني أو عصر نفوذ الأتراك (٢٣٢-٣٣٤هـ/٨٤٧ -٩٤٦م) بعد أن ضعفت قبضة الخلافة، وتولى أمرها مَن لم يكن في قدرة الخلفاء العباسيين الأوائل كفاءةً وحزمًا، ظهورَ الدول المستقلة، وتعد الدولة الطولونية أول دولة تنفصل سياسيًّا عن الخلافة العبَّاسيَّة وتنفرَّد سُلالتها بِحُكم الديار المصريَّة والشَّاميَّة.

تُنسَب الدولة الطولونية إلى مُؤسِّسها أحمد بن طولون، وهو جندي تركي، جاء إلى مصر نائبًا عن القائد التركي باكباك منذ عام ٢٥٤هـ/ ٨٦٨ م، ثم استطاع أن يوطد سلطته في مصر ويزيح من طريقه العقبات التي اعترضته في حكمها، حتى نجح في الاستقلال بها وتأسيس دولة عرفت باسمه سنة ٢٦٦هـ/ ٨٨٠ م حكم فيها ومن بعده أولاده وأحفاده، مع إبقاء التبعية الروحية والدينية فقط للخلافة العباسية وتمثل ذلك في الدعاء للخليفة العباسي على منابر المساجد، والولاء لمذهب الخلافة السني الحَنَفِيّ.

دفعنا لاختيار هذا الموضوع أسباب عدة أهمها أن العصر الطولوني إلى جانب أنه يمثل أول تجربة استقلال ناجحة في تاريخ مصر الإسلامية منذ الفتح العربي لها، فإنه بدأ معه بوادر الاستقلال الفكري والثقافي أيضًا، ومن هنا تأتي أهمية الفترة الزمنية المختارة للبحث، وأما اختيار فقهاء الشافعية بالتحديد؛ فذلك لأن تلاميذ الإمام الشَّافِعِيّ انتشروا وبدءوا يعملون على نشر مذهب أستاذهم وترسيخ قواعده بعد وفاته، ووجدوا في مصر الطولونية تربة صالحة لمزاولة أنشطتهم في الحياة الفكرية، فكان لهم الدور المؤثر والمهم الذي سنحاول بيانه في صفحات هذا البحث من خلال المباحث التالية:

- أولًا: الشافعية في مصر قبيل العصر الطولوني.
- ثانيًا: العلاقة بين فقهاء الشافعية والطولونيين.
- ثالثًا: إسهامات الشافعية في مجال العلوم الشرعية.

- رابعًا: إسهامات الشافعية في مجال العلوم اللغوية والأدبية.
- وأخيرًا: تأتي الخاتمة لتوضح أهم النتائج التي تم التوصل إليها خلال البحث.

أولًا: الشافعية في مصر قبيل العصر الطولوني:

تلقى الإمام الشَّافِعِيّ[١] العلم من جمهرة من الشيوخ أصحاب المذاهب والنزعات المختلفة، واجتمع له فقه مكة، والمدينة، والشام، واليمن والعراق؛ لذلك كان هو المزيج الفقهي المحكم الذي تلاقت فيه كل النزعات منسجمة، متعادلة، متآلفة غير متنافرة، وتولدت منه المعاني الكلية التي صهرها الشَّافِعِيُّ وقدمها للناس في بيان رائع وقول محكم[٢].

دخل الإمام الشَّافِعِيّ مصر سنة ١٩٨هـ/ ٨١٣ م بعد رحلته إلى أماكن عديدة، وكان المذهبان الحنفي والمَالِكِيّ حينئذٍ هما المذهبان المتبعان فيها، والغلبة للمالكية[٣]، فبدأ الشافعي في تأسيس مذهبه الجديد.

---

(1) هو الإمام مُحَمَّدُ بنُ إِدْرِيْسَ بنِ العَبَّاسِ بنِ عُثْمَانَ بنِ شَافِعِ بنِ السَّائِبِ بنِ عُبَيْدِ بنِ عَبْدِ يَزِيْدَ بنِ هِشَامِ بنِ المُطَّلِبِ بنِ عَبْدِ مَنَافٍ بنِ قُصَيٍّ بنِ كِلاَبِ بنِ مُرَّةَ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيٍّ القرشي.
انظر: الرازي: مناقب الإمام الشافعي، تحقيق: أحمد حجازي السقا، ط١، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٨٦م. ص ٢٣ ــ الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م. ج١٠ ص ٥.

(2) الرازي: المصدر السابق، ص ٤٣ ـ علي الخفيف: الاجتهاد ونشأة المذاهب الفقهية، مجلة البحوث والدراسات العربية، مج٢، ١٩٧١م. ص ٢٢٦ ـ صفي علي محمد: الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط منذ الفتح العربي إلى نهاية الدولة الإخشيدية، ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠م. ص ٢٣٧، ٢٣٩.

(3) البيهقي: مناقب الشافعي، تحقيق السيد أحمد صقر، ط١، دار التراث، القاهرة، ١٩٧٠م. ج١ ص ٢٣٧ ـ محمد كامل حسين: أدب مصر الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٠م. ص ٥١ ـ جمال الدين الشيال: تاريخ مصر الإسلامية، دار المعارف، مصر، ١٩٦٧م.ص ١٢٤، ١٢٥.
أما المذهب الحنبلي فتأخر دخوله إلى القرن السابع الهجري لعدة أسباب. (انظر أسباب عدم انتشار المذهب الحنبلي: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٧م.ج٦ ص ١٥٩– عمر سليمان الأشقر: أضواء على المذاهب الفقهية، مجلة الحكمة، ١٩٩٧م. ص١٣٠، ١٣١– ربيع رشاد محمود إمام: الفقهاء في مصر الإسلامية، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ٢٠١١م. ص ٥٥، ١١٢.

صنَّف الشَّافِعِيُّ كثيرًا من كتب مذهبه في مصر ككتاب "الأم" الذي يعد موسوعة ضخمة شملت الفروع والأصول واللغة والتفسير والحديث، ويحوي بين دفتيه عددًا هائلًا من الأحاديث والآثار، ويمثل القول الجديد الذي استقر عليه مذهبه في مصر[٤]، بل إن الشَّافِعِي أعاد تأليف كتب مما ألفها بالعراق، ومنها كتاب "الرسالة" الذي كتبه للمرة الأولى في بغداد[٥]، وهو يعد أول من كتب في علم أصول الفقه[٦].

أسس الشَّافِعِيُّ مذهبه الفقهي في مصر على أصول عدة هي: الكتاب والسنة المجتمع عليها، ثم الإجماع ثم القياسِ وغيرها من الأصول[٧]، فكان مذهبه وسطًا بين أهل الرأي وأهل الحديث، كما كان له أعظم الأثر في توجيه الدراسات الفقهية توجيهًا جديدًا، فتلقاه المصريون بالقبول، ولم يمض قرن من الزمان حتى أصبح المذهب الشَّافِعِيُّ منافسًا للمذهب المَالِكِيّ في مصر[٨].

توفي الإمام الشَّافِعِيّ بمصر سنة ٢٠٤هـ/ ٨٢٠ م[٩]، أي قبل قيام الدولة الطولونية في مصر بنحو خمسين سنة، إلا إنه ترك تلاميذ عدهم الإمام الحافظ في قصيدة[١٠]، ومن بينهم من عاش

---

(4) الشافعي: الرسالة، تحقيق: أحمد شاكر، ط١، مكتبة الحلبي، مصر، ١٩٤٠م. ص ٩ـ البيهقي: مناقب الشافعي، ج١ ص ٢٣٧.

(5) ابن كثير: طبقات الشافعيين، تحقيق: أحمد عمر هاشم، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ١٩٩٣م. ص ٣٩، ٤٧.

(6) البيهقي: مناقب الشافعي، ص ٣٦٨ ـ الرازي: مناقب الإمام الشافعي، ص ١٥٣ ـ صفي: الحركة، ص ٢٣٣.

(7) الشافعي: الرسالة، ص ٥٩٨ ـ عمر سليمان الأشقر: أضواء ص ١١٦ ـ لمين الناجي: القديم والجديد في فقه الشافعي، دار ابن القيم، الرياض، ط١، ٢٠٠٧م. ص ١٨٥ ـ ٢٣٢.

(8) الرازي: مناقب الإمام الشافعي، ص ٤٣ ـ علي الخفيف: الاجتهاد ونشأة المذاهب الفقهية، ص ٢٢٦ ـ صفي: الحركة، ص ٢٣٧، ٢٣٩ ـ

(9) ابن خلكان: وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤م. ج٤ ص١٦٥ – ابن كثير: طبقات الشافعيين، ص ٤٦.

(10) ابن الزيات: الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة، ط١، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ٢٠٠٥م. ص ١٠١، ١٠٢ – محمد كامل حسين: أدب مصر. ص ٥٧.

حتى شهد قيام الدولة الطولونية، وكان لهم الفضل في حفظ مذهبه ونشره، كما كان لهم إسهاماتهم في الحياة الفكرية خلال عهد الدولة الطولونية على النحو الذي سيتضح خلال الصفحات التالية.

ثانيًا: العلاقة بين فقهاء الشافعية والطولونيين:

دفع الطولونيين إلى الاهتمام بالفقهاء ورعايتهم عدةُ أسباب، منها تدعيم استقلالهم عن طريق الظهور بمظهر حماة الدين والعلم[١١]، إلى جانب رغبتهم في منافسة الدولة العباسية في شتى ضروب الحضارة[١٢]، بالإضافة إلى أن مؤسس هذه الدولة أحمد بن طولون (٢٥٤- ٢٧٠هـ/ ٨٦٨- ٨٨٤م) نشأ في الفقه والصلاح. وعلى الرغم من أن المذهب الحَنَفِيَّ كان المذهب الرسمي للدولة والخلافة العباسية وهو المذهب الذي تفقه عليه مؤسس الدولة[١٣]، فإن ابن طولون اعتنى وخلفاؤه بكل المدارس الفقهية ولم يميز

---

(11) محمود رزق محمود: المجتمع المصري في العصر الطولوني، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٨٤م، ص ٢٧٧.

(12) أحمد أمين، ظهر الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٥م. ج١، ص٩٥ ـ سيدة إسماعيل كاشف: مصر في عصر الطولونيين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٠م. ص ٩١ ــ صفي: الحركة العلمية، ص ٢١٩ ــ

Hassan (Z.M): Les Tulunides : étude de l'Égypte musulmane à la fin du IXe siècle, Établissements Busson, 1933 P. 289.

(13) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٦ ص ٣٩٠ ـ ٤٠٣ – ابن كثير: البداية والنهاية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٣٢م. ج ١٠ ص ١٠٧، ١٠٨ ــ سيدة إسماعيل كاشف: مصر في عصر الولاة (من الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٨م. ص ١٨٦.

بين أحد منها وحضروا مجالسهم بالمساواة، فنبغ عدد كبير من فقهاء المذاهب الثلاثة– المَالِكِيّ، والشَّافِعِيّ، والحَنَفِيّ– في عهدهم(١٤).

مارس فقهاء مصر من المذاهب المختلفة نشاطهم الفكري برعاية الطولونيين في المراكز المخصصة لذلك، ومنها مسجد عمرو بن العاص في الفسطاط، وجامع أحمد بن طولون بالقطائع(١٥)؛ إذ عقد الفقهاء في المسجدين المناظرات، ومجالس العلوم والآداب على اختلافها، ووفد إليهم كثير من العلماء والفقهاء وخاصة من العراق وفارس والحجاز والمغرب، فنشروا علمهم وأخذوا ما ليس عندهم(١٦)، كما كان قصر الأمير أحمد بن طولون(١٧) مجمعًا

---

(14) فمن فقهاء العصر الطولوني على المذهب المَالِكِيُّ: مُحمَّد بن عبد الله بن الحكم المصري (ت ٢٦٨هـ/ ٨٨١م)، ومن المالكيَّة أيضًا مُحمَّد بن أصبغ بن الفرج (ت ٢٧٥هـ/٨٨٨م) وروح بن الفرج أبو الزنباع الزبيري (ت ٢٨٢هـ/٨٩٥م)، وأحمد بن مُحمَّد بن خالد الإسكندراني (ت ٣٠٩هـ/٩٢١م).
وبرز من فقهاء المذهب الحنفي: أشهرهم القاضي بكَّار بن قُتيبة الثقفي (ت ٢٧٠هـ/٨٨٣م)، ومنهم أيضًا أحمد بن أبي عمران (ت. ٢٨٥هـ/٨٩٨م).
انظر: الكندي: الولاة والقضاة، تحقيق: محمد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م. ص ٣٣٩ – السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ط١، دار إحياء الكتب العلمية، مصر، ١٩٦٧م. ص ٣٠٩ ، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٦٣.

(15) انظر تفاصيل بناء الجامع، المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م.ج٤ ص ٣٨ – ٤٠ – زكي محمد حسن: الفن الإسلامي في مصر، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٥م. ج١ ص ٣٧ – أحمد عبد الرازق: تاريخ وآثار مصر الإسلامية، دار الفكر العربي، ١٩٩٩م. ص ١٠١– محمد عبد الفتاح: الأوراق الندية في تاريخ مصر الإسلامية، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٣م. ص ٦٨.

(16) أحمد أمين: ظهور الإسلام، ج١ ص ١٦٨. سيدة كاشف: مصر في فجر الإسلام، دار النهضة العربية، ١٩٧٠م. ص ٣٢٨. عبد العظيم رمضان: تاريخ المدارس في مصر الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م. ص ٩١. عطية القوصي: تاريخ مصر الإسلامية، دار الثقافة العربية، القاهرة، د.ت. ص ١٣٨.

(17) سيدة كاشف: أحمد بن طولون، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٥٦م. ص ٢٣٣ ـ جمال الشيال: تاريخ مصر الإسلامية، ص ١٣٤ ـ صفي على محمد، الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص٧٥.

للفقهاء والعلماء يجتمع بهم ابن طولون فيسمع منهم ويشاورهم في مختلف أموره[١٨]، وقد عُرف عنه أنه كان شغوفًا بمجالسة الفقهاء والعلماء مع كثرة الدرس وطلب العلم والحديث حتى أنه بلغه أن رجلًا من الأنباط في صعيد مصر يشار إليه بالعلم بعث إليه وأحضره إلى قصره، وأخلى له نفسه في ليال وأيام كثيرة يسمع كلامه[١٩]، وكان ابن طولون نفسه من أئمة الحفاظ، كما أعطاه الله حلاوة الصوت في قراءته[٢٠]، وبالإضافة إلى ذلك كان يحضر مجالس الفقهاء المليئة بطلاب العلم من الأمصار المختلفة مع المصريين[٢١].

أغدق ابن طولون الكثير من المال والعطايا على الفقهاء والعلماء، وأهل القرآن، والأئمَّة، وأرباب البيوت، فكان راتب كل واحد منهم في الشهر عشرة آلاف دينار، بالإضافة إلى ما

([18]) من الفقهاء الذين ترددوا على قصره الفقيه المَالِكِيُّ محمد بن عبد الحكم.
انظر: ابن الداية: المكافأة، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م. ص ٤٩ ـ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: حسين نصار، دار الكتب، مصر، ١٩٧٠م. ج٣ ص ٤٤ ـ محمود رزق: المجتمع المصري في العصر الطولوني، ص ٢٧٨.

([19]) ابن ظهيرة: الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، تحقيق: مصطفى السقا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٦٩م. ص ١٦٥ – محمود رزق محمود: المرجع السابق، ص ٢٧٧.

([20]) ابن الجوزي: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق: محمد بركات وآخرون، دار الرسالة العلمية، سوريا، ٢٠١٣م. ج ١٦ ص ٧٦ ـ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٣ ص ٣ ـ ابن طولون الدمشقي: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الطولونية، تحقيق: مهنا حمد المهنا، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٧م. ص ١٧.

([21]) فعلى سبيل المثال كان يجيء أحمد بن طولون إلى مجلس بكار بن قتيبة ـ أشهر فقهاء الحنفية ت ٢٧٠هـ ـ وهو يملي الحديث، فيأمر حاجبه بألا يتغير أحد من مكانه، فما يشعر به بكار إلا وهو جالس إلى جنبه، فيقول له: أيها الأمير ألا تركتني حتى كنت أقضى حقّك، وأؤدّى واجبك! أحسن الله جزاءك وتولّى مكافأتك.
انظر: البلوي: سيرة أحمد بن طولون، تحقيق: محمد كرد علي، المكتبة العربية، دمشق،١٩٣٩م. ص ٢٩٧ ـ الكندي: الولاة والقضاة، ص ٣٤٠ ـ ابن تغري: النجوم ، ج٣ ص ١٩ـ سيدة كاشف: أحمد بن طولون، ص ٢٣٣.

حصلوا عليه في بعض المناسبات[٢٢]، بل إن ابن طولون أوقف على الطلاب الوافدين أوقافًا يستعينون بها على العيش[٢٣].

نال فقهاء الشافعية منزلة مرموقة لدى الطولونيين، فبالإضافة إلى رعاية ابن طولون لهم، رصدت المصادر أن الطولونيين حضروا مجالس الشافعية، وتتلمذوا على أيديهم؛ إذ كان أحمد بن طولون يحضر مجلس الفقيه الشَّافِعِيّ الربيع بن سليمان[٢٤]، كما تتلمذ على يد الربيعِ عدنانُ بن أحمد بن طولون، وقد نال الربيع عند الطولونيين مكانة عظيمة فكانوا يستفيدون من علمه ووعظه[٢٥].

بلغ تقدير الطولونيين لفقهاء الشافعية أن صلّى عليهم أمراؤهم، فقد نال الْمُزنِيّ[٢٦] مكانة عالية عندهم، ولما توفي سنة (٢٦٤=٨٧٧م) صلى عليه العباس بن أحمد بن طولون[٢٧]،

---

(22) ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج ١٦ ص ٧٨ ـ محمود عبد الفتاح: الأوراق الندية، ص ٦٨.

(23) السيوطي حسن المحاضرة – ص ١٢٥ ـ حسن أحمد محمود: حضارة مصر الإسلامية (العصر الطولوني)، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت. ص ٢٢٤.

(24) الرَّبِيْعُ بنُ سُلَيْمَانَ بنِ عَبْدِ الجَبَّارِ بنِ كَامِلٍ المُرَادِيُّ، أَبُو مُحَمَّدٍ المُرَادِيُّ المِصْرِيُّ.
انظر: المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمدا محيي الدين، مؤسسة دار التحرير، القاهرة، ١٩٦٦م. ج٤ ص ١٢٢ ـ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٢ ص ٥٨٧ .

(25) البلوي: سيرة أحمد بن طولون، ص ١٨٢ـ محمود رزق محمود: المجتمع المصري في العصر الطولوني، ص ٣١٥. ـ حسن: حضارة مصر، ص ٢٢٣ ـ Hassan (Z.M): op. cit. P. 259

(26) إِسْمَاعِيل بْن يَحْيَى بْن إِسْمَاعِيل بْن عَمْرو بْن إِسْحَاق الإِمَام الْجَلِيل أَبُو إِبْرَاهِيم الْمُزنِيّ ، بضم الميم وفتح الزاي نسبة إلى مزينة بنت كلب، من القبائل المشهورة.
انظر: الشيرازي: طبقات الفقهاء، تحقيق: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٧٠م. ص ٩٧ـ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٢ ص ٤٩٢ .

(27) البيهقي: مناقب الشافعي، ج٢ ص ٣٥٧

وكذلك صلَّى الأَمِيْرُ خُمارَويه بْنُ أَحْمَدُ بنُ طولُوْنَ (٢٧٠- ٢٨٢هـ/ ٨٨٤- ٨٩٥م) على الربيع بن سليمان المرادي (٢٧٠هـ=٨٨٣م) لما مات[٢٨].

ثالثًا: إسهامات الشافعية في مجال العلوم الشرعية:

استغل فقهاء الشافعية رعاية الطولونيين لهم، والحرية التي تمتع بها أفراد المجتمع في هذا العصر في اعتناق المذهب الذي يريدونه، وعدم تحيز حكام الدولة لأي منهم، فنشطوا نشاطًا علميًّا وفكريًّا ملحوظًا ليس في الفسطاط والقطائع والإسكندرية وحسب، بل امتد نشاطهم العلمي والفكري إلى أنحاء الدلتا والصعيد، وبخاصة في مجال العلوم الدينية اقتداء بإمامهم الذي وجه أكبر اهتمامه بهذا النوع من العلوم، فنهل منها كثيرًا حتى صار إمام الأئمة[٢٩].

ألَّف فقهاء الشافعية بمصر في ظل الطولونيين في مختلف العلوم الشرعية، فكتبوا في الفقه وأصوله، ورووا الحديث وألفوا فيه المؤلفات، كما أتقن بعضهم علم القراءات، وكان لهم مظانهم فيه أيضًا، كما ألفوا في غير ذلك من العلوم الشرعية.

١- ففي الفقه وأصوله:

ألَّف فقهاء الشافعية كتبًا في أصول مذهبهم، وعملوا على نشر مذهب أستاذهم، فلقنوا الناس الفقه الشافعي، ودرَّسوه للطلاب، ورووا أقوال الشافعي، وناظروا عن مذهبهم، ومن أبرز الفقهاء الذين كان لهم دور في ذلك صاحب الشَّافِعِيّ وتلميذه الفقيه **الرَّبِيْعُ بنُ سُلَيْمَانَ الأَزْدِيُّ الجِيْزِيُّ**[٣٠]**(ت ٢٥٦هـ/ ٨٧٠م)** الذي قال له الشافعي إنه سيكون أنفع تلاميذه فِي نشر كتب

([28]) ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج١٦ ص ٩٠ ـ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٢ ص ٥٩٠ – ابن كثير: طبقات الشافعيين، ج١ ص ١٣٦ ـ

([29]) صفي: الحركة، ص٢٣٣ – حسن: حضارة مصر، ص ٢٣٠.

([30]) الرّبيع بن سُلَيْمَان بن دَاوُد الجيزى، أَبُو مُحَمَّد الأزدى مَوْلَاهُم المصرى الْأَعْرَج وَقيل ابْن الْأَعْرَج، ويكنى بأبو سليمان. انظر: ابن النديم: الفهرست، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٦م. ص ٢٦١ ـ السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمد محمود الطناحي، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٧٦م.ج٢ ص ١٣١ .

المذهب[٣١]، وقد تحقق ذلك؛ إذ تتلمذ على يدي الربيع كثير من أهل المغرب والأندلس[٣٢]، وقد توفي الربيع بالجيزة ودفن بها[٣٣].

ومن فقهاء الشافعية وأصولييهم بمصر زمن الطولونيين **أَبُو إِبْرَاهِيم الْمُزَنِيّ الْمصْرِيّ** (ت ٢٦٤هـ/ ٨٧٨م) وكان إمام الشافعيين وأعرفهم بطرق الشَّافِعِيُّ وفتاويه[٣٤]، وقد رُوي أن الشَّافِعِيّ قال فيه: "الْمُزَنِيُّ نَاصرُ مَذْهبِي"[٣٥]، وإنه "سيأتي عليه– أي الْمُزنِيّ– زمان لا يفسّر شيئا فيخطئه"[٣٦]، و"لو ناظر الشيطان لغلبه"[٣٧]، وأنه سيكون لَه بِمصْر هَنَات وهنات وسيدرك زَمَانًا يكون أَقيس أهله[٣٨]، وكان **الْمُزَنِيّ** نموذجًا يحتذي به الآخذون عن الشافعي[٣٩] حتى إنه قال عن نفسه: "أنا خُلُقٌ من أخلاق الشَّافِعِيُّ"[٤٠].

([31]) البيهقي: مناقب الشافعي، ج٢ ص ١٣٦ـ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢ ص ٢٩١ ـ السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٢ ص ٩٤

([32]) ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ١١٩٠٨م.ج٣ ص ٢٤٥.

([33]) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢ ص ٢٩٣ ـ الإسنوي: طبقات الشافعية، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.ج١ ص ٢٧ .

([34]) السبكي: طبقات الشافعية، ج٢ ص ٩٣ ـ Hassan (Z.M): op. cit. P. 257

([35]) الذهبي: سير أعلام، ج١٢ ص ٤٩٣ ـ ابن كثير: طبقات الشافعية، ج١ ص١٢٣ـ ابن قاضي شهبة: طبقات الشافعية، تحقيق: الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٧م. ج١ ص ٥٨ .

([36]) ابن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير: بيروت، ١٩٨٦م. ج٣ ص ٣٠٠.

([37]) السبكي: طبقات الشافعية، ج٢ ص ٩٣ ـ الإسنوي: طبقات الشافعية، ج١ ص ٢٨ ـ

([38]) البيهقي: مناقب الشافعي، ج٢ ص ١٣٦ – ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢ ص٢٩١ ـ السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٢ ص ٩٤

([39]) السبكي: طبقات الشافعية، ج٢ ص ٩٥ – صفي: الحركة ص ٢٤٥.

([40]) وقَالَ عَمْرو بْن عُثْمَان الْمَكِّيّ مَا رَأَيْت أحدا من المتعبدين فِي كَثْرَة من لقِيت مِنْهُم أَشد اجْتِهَادًا من الْمُزنِيّ وَلَا أدوم عَلَى الْعِبَادَة مِنْهُ وَمَا رَأَيْت أحدا أَشد تَعْظِيمًا للْعلم وَأَهله مِنْهُ وَكَانَ من أَشد النَّاس تضييقا عَلَى نَفسه فِي الْوَرع وأوسعه فِي ذَلِك عَلَى النَّاس.

انظر: البيهقي: مناقب الشافعي، ج٢ ص ٣٥١ ـ السبكي: المصدر السابق، ج٢ ص ٩٤.

صَنَّفَ **الْمُزَنِيّ** كُتُبًا كثيرة في الفقه الشَّافِعِيّ وأصوله ووثائقه، ومِنْهَا: الْجَامِعُ الْكَبِيرُ، وَالْجَامِعُ الصَّغِيرُ، وَالْمُخْتَصَر الكبير، وَالْمَنْثُورَات، وَالْمَسَائِلُ الْمُعْتَبَرَةُ، والترغيب في العلم، والوسائل[٤١]، وكتاب الدقائق والعقارب الذي سمى بذلك لصعوبته، وغيرها[٤٢]، كما نبغ الْمُزَنِيّ في الوثائق[٤٣]، وكان من أوائل تلاميذ الشافعي الذين اهتموا بهذا العلم، وله فيه مؤلف عرف بكتاب "الوثائق"[٤٤]، وقد عده الشافعية مجتهدًا؛ لأنه خالف أستاذه في بعض الآراء.

لعب كتاب **الْمُزَنِيّ** "المختصر الكبير" الذي اشتهر بـ"مختصر الْمُزَنِيّ" دورًا كبيرًا في نشر المذهب الشافعي وترسيخه في مصر وفي غيرها من الأمصار الإسلامية، حيث تلقاه العلماء والطلاب بالقبول وأصبح الكتاب المتداول في فقه الشَّافِعِيّ[٤٥]، وشُدت إلى صاحبه الرحال من خراسان والعراق والشام وصعيد مصر، وقد جاء الإمام أبو جعفر الأزدي الطحاوي من الصعيد إلى مصر لخاله أبي إبراهيم الْمُزَنِيّ لطلب العلم، فاشتغل بـ"المختصر"[٤٦].

([41]) النووي: المجموع شرح المهذب، تحقيق: محمد نجيب المطيعي، دار عالم الكتب، السعودية، ٢٠٠٦م. ص ١٠٧.

([42]) الإسنوي: طبقات الشافعية، ج١ ص ٢٨ ــ ابن العماد: شذرات الذهب، ج٣ ص ٢٧٨ ـ هويدا: المجتمع في مصر الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م. ج١ ص ١٦٢.

([43]) علم الشروط والوثائق، هو علم يبحث فيه الفقيه عن إنشاء الكلمات المتعلقة بالأحكام الشرعية، وموضوعه ومنفعته ظاهران. ومبادئه: علم الإنشاء وعلم الفقه، وله استمداد من العرف. انظر: ربيع رشاد محمود إمام: الفقهاء في مصر الإسلامية، ص ٣٠٤.

([44]) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٢ ص ٤٩٣ ــ الشيرازي، طبقات الفقهاء، ٩٧ ــ السبكي: طبقات الشافعية الكبري، ج٢ ص ٩٤.

([45]) انظر: الْمُزَنِيّ: مختصر الْمُزَنِيّ، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٠م. ص ٩٢.

([46]) السبكي: طبقات الشافعية، ج٢ ص ٩٥ ــ صفي: الحركة ص ٢٤٥.

شغل "مختصر الْمُزنِيّ" المصريين، علماء وطلابًا؛ إذ يروى أن أَبا زرْعَة[٤٧] أول قضاة الشافعية في مصر (ت ٣٠٢هـ/ ٩١٤م) شجَّع على حفظه وجعل لمن يحفظه مائة دينار هبه[٤٨]، وقيل إن البِكْرُ يَكُوْنُ فِي جهَازِهَا نُسْخَةٌ من (مُخْتَصرِ) المُزَنِيِّ[٤٩].

ومن فقهاء الشافعية الذين أسهموا في ترسيخ المذهب ونشره الفقيه المصري **يُوْنُسُ بنُ عَبْدِ الأَعْلَى** بنِ مَيْسَرَةَ الصَّدَفِيُّ[٥٠](ت ٢٦٤هـ/ ٨٧٧ م) وكان من مكثري الرِّوَايَة عَن الشَّافِعِيّ والملازمة لَهُ[٥١]، وقد مدحه الشَّافِعِيّ بقوله: "مَا رَأَيْت بِمصْر أَعقل من يُونُس بْن عبد الْأَعْلَى"[٥٢]. وكان يونس من كبار العلماء في زمانه، وانتهت إليه رياسة العلم (مشيخة العلم) لعلمه وفضله ونبله وعلو إسناده في الكتاب والسنة، وقد تفقه على يديه كثير من المشارقة والمغاربة[٥٣].

---

(47) مُحَمَّد بن عُثْمَان بن إِبْرَاهِيم بن زرْعَة الثقفى ، ولى قَضَاء مصر سنة أَربع وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ وَلم يل بعده قَضَاء مصر وَلَا قَضَاء الشَّام إِلَّا شافعى الْمَذْهَب.
انظر: الكندي: الولاة والقضاة ص ٥٢٣ ـ السيوطي: حسن المحاضرة، ص ٣٩٩.

(48) ابن الصلاح: طبقات الفقهاء الشافعية، تحقيق: محيي الدين علي نجيب، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٩٩٢م. ص ١٢. السبكي: طبقات الشافعية، ج٣ ص ١٩٧ ابن كثير: طبقات الشافعيين، ج١ ص ٢٣٢.

(49) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٢ ص ٤٩٣.

(50) يُونُس بن عبد الْأَعْلَى بن مُوسَى بن ميسرَة بن حَفْص بن حَيَّان الإِمَام الْكَبِير أَبُو مُوسَى الصدفي (بفتح الصاد والدال) المصري، وَكَانَ أحد الشُّهُود بِمصْر أَقَامَ شَاهدا سِتِّينَ سنة.
انظر: الصفدي: الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠م. ج٢٩ ص ١٨٣ـ السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٢ ص ١٧٠ .

(51) النووي: تهذيب الأسماء واللغات، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٥٥م.ج١ ص ١٨٩.

(52) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٢ ص ١٧١.

(53) الصفدي: الوافي، ج٢٩ ص ١٨٣ ـ ابن الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق: ج. برجستراسر، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦م.٢ ص ٤٠٧ ـ ابن العماد: شذرات الذهب، ج٣ ص ٢٨٠.

ومن الشافعية الذين لعبوا دورًا كبيرًا في الحياة الفكرية بمصر زمن الطولونيين، وألفوا في الفقه وأصوله **الربيع بن سليمان المرادي** (ت ٢٧٠هـ/ ٨٨٣م) وكان أحد تلاميذ الشَّافِعِيّ المقربين، حتى قال عنه الشافعي "الربيع راويتي"، وقد اعتني بتعليمه علمه وقربه إليه[٥٤]، وقَالَ لَهُ: "لَوْ أَمكَنَنِي أَنْ أُطْعِمُكَ العِلْمَ لأَطعمتُكَ"[٥٥]. وقد عمر الربيع في العصر الطولوني نحو ستة عشر عامًا فأفاد مصر كثيرًا وتوفي بها[٥٦].

روى **الربيع** عن الشافعي كتبًا كثيرة من أهمها كتاب الْأُمِّ[٥٧] وكتاب "المبسوط في الفقه" وهو كتاب في فقه العبادات: الطهارة، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والاعتكاف[٥٨]، كما نسخ الربيع كتاب "الرسالة" بخطه، بأجزائه الثلاثة في سنة (٢٦٥هـ/ ٨٧٩م)[٥٩].

يُرجع كثير من المؤرخين الفضل إلى **الربيع بن سليمان المرادي** في نشر فقه الشَّافِعِيّ، إذ رحل إليه الطلاب من أقطار الأرض لأخذ علم الشَّافِعِيّ[٦٠]. حتى قيل في ذلك: كانت الرحلة في كتب الشَّافِعِيّ إليه من الآفاق نحو مائتي رجل. وقيل: ٧٠٠ راحلة[٦١].

ومن فقهاء الشافعية أيضًا، الفقيه **قَحزم بن عبد الله**[٦٢] (ت ٢٧١هـ/ ٨٨٤م)، المكنى بأبي حنيفة الأسواني، وكان قبطيًّا ثم أسلم وأصبح من جلة أصحاب الشَّافِعِيّ الآخذين عنه،

---

(54) أحمد أمين: ظهر الإسلام، ج١ ص ١٦٨.
(55) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١٤ ص ٥٧ ـ السبكي: طبقات الشافعية، ج٢ ص ١٣٤.
(56) أحمد أمين: ظهر الإسلام، ص ١٦٩.
(57) النووي: المجموع شرح المهذب، ص ٢٤٠.
(58) ابن النديم: الفهرست، ص ٢٦٠ ـ هويدا: المجتمع، ص ١٦١ ـ صفي: الحركة، ص ٢٤٧.
(59) الشافعي: الرسالة، ص ١٧.
(60) ابن قاضي شهبة: طبقات الشافعية، ج١ ص ٦٥ ـ محمد أبو زهرة: الشافعي، ط٢، دار الفكر العربي، مصر، ١٩٧٨م. ص ٣٨٤.
(61) النووي: المجموع شرح المهذب، ص ٩ ـ السبكي: طبقات الشافعية، ج٢ ص ١٣٤.
(62) أَبُو حنيفَة الأسوانى بِفَتْح الْقَاف بعْدهَا حاء مُهْمَلَة سَاكِنَة ثمَّ زاى مَفْتُوحَة ثمَّ مِيم.
انظر: السبكي: المصدر السابق، ج٢ ص ١٦٠.

وروى عَنهُ كثيرًا من كتبه، وأقام بعده بأسوان يفتي على مذهب أستاذه، فكان من عمد الدراسات الإسلامية بها، وتوفي بها[٦٣].

أدرك فقهاء الشافعية من تلاميذ الشافعي الذين تحدثنا عنهم فيما سبق قيام الدولة الطولونية في مصر، وتوفوا خلال عهدها، أما تلامذتهم فإنهم أدركوا الدولة وتوفوا بعد سقوطها، وكما كان لأساتذتهم إسهامات فكرية في الفقه وأصوله، فإنهم ساروا على دربهم وألفوا في العلمين، وعملوا على نشر المذهب، ومنهم الفقيه **بشر بن نصر بن منصور** أبو القاسم البغدادي المعروف بغلام عرق (ت ٣٠٢هـ/٩١٤م)، وقد ارتحل إلى مصر، وتفقه على مذهب الشافعي، وتوفي بمصر، وكان ضليعًا في الفقه[٦٤]، والفقيه **مَنْصُور بن إِسْمَاعِيل** أَبُو الْحسن التَّمِيمِي[٦٥] المتوفى بمصر سنة (٣٠٦هـ/ ٩١٨م)[٦٦]، وقد أخذ الفقه عن أصحاب الشَّافِعِيّ، وَله مصنفات في المذهب كثيرة مِنْهَا الْوَاجِب والمستعمل" وَالْمُسَافر وَالْهِدَايَة وَغَيرهَا من الْكتب[٦٧].

لم يقتصر دور فقهاء الشافعية في الفقه وأصوله على الفقهاء الذين عاشوا في مصر، بل كان لغيرهم من الفقهاء الذين وفدوا إلى مصر الطولونية إسهاماتهم في العلمين، ومنهم الفقيه

---

(63) الإسنوي: طبقات الشافعية، ج١ص٣١ ـ السيوطي: حسن المحاضرة، ص٣٩٩ ـ هويدا: المجتمع، ص ١٦٣.

(64) الإسنوي: المصدر السابق، ج٢ ص ٨٧ ـ السيوطي: حسن المحاضرة، ص ٤٠٠.

(65) أبو الحسن، منصور بن إسماعيل بن عمرو التميمي، المصري، الضرير.
انظر: الإسنوي: طبقات الشافعية، ج١ ص ١٤٤.

(66) المصدر السابق، ج ١ ص ١٤٤.

(67) الشيرازي: طبقات الفقهاء، ص ١٠٨ ـ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥ ص ٢٩٠ ـ السبكي: طبقات الشافعية، ج٣ ص ٤٧٨

أبو علي كُنَيز[٦٨] بن عبد الله خادم الخليفة المنتصر باللّه ابن المتوكل الذي جاء من بغداد بعد وفاة مولاه، وتفقه على يد الفقيهين: حرملة[٦٩] والربيع. وكان له دور في نشر المذهب الشافعي، كما كان يناظر المالكية مما تسبب في أذيته حيث وشى المالكية به لأحمد بن طولون واتهموه بأنه جاسوس، فصدقهم وأمر بحبسه سبع سنين، ولما مات أحمد بن طولون ذهب كنيز إلى الإسكندرية وأقام بها أيضًا سبعًا وأعاد كلّ صلاة صلاها في الحبس، ثم ذهب إلى الشام وأخذ يقرئ في جامِع دمشق[٧٠].

ومن اللافت للنظر أن إسهام الشافعية بمصر في علمي الفقه وأصوله زمن الطولونيين لم يكن وقفًا على الرجال، بل كان للفقيهات دورهن وإسهامهن في ذلك؛ إذ تورد المصادر – المتاحة بين أيدينا – أن أمَّ الإمام الطحاوي **أخت الْمُزَنِيّ** كانت تحضر مجلس الشافعي بمصر[٧١]، وأصبحت من أهل العلم والفقه في عصرها، فكان بعض فقهاء الشافعية ينقل أقوالها واختياراتها وترجيحاتها الفقهية، وقد نقل عنها الرافعي في زكاة المعدن، ولم ترصد المصادر تاريخ وفاتها[٧٢].

---

(68) بكاف مضمومة، ونون مفتوحة بعدها ياء التصغير، ثم زاي معجمة. ولم تذكر المصادر تاريخ وفاته.
انظر: الإسنوي: طبقات الشافعية، ج٢ ص ١٧٨.

(69) حرملة بن يحيى بن عبد اللّه بن حرملة، المصري التّجيبي، ولد سنة ١٦٦هـ، وتوفي سنة ٢٤٣هـ.
انظر: المصدر السابق، ج١ ص ٢٦.

(70) **انظر**: السبكي: طبقات الشافعية، ج٢ ص ٣٦٤ ـ السيوطي: حسن المحاضرة، ج١ ص ٣٩٩.

(71) ذكرها السيوطي ضمن من كان بمصر من فقهاء الشافعية.
أما الميلاد فكان علي الأرجح في أواخر القرن الثاني، حيث تذكر لنا المصادر أن أخوها الإمام إسماعيل الْمُزَنِيّ قد ولد في نفس الفترة بالفسطاط، وبقيت بها حتى تزوجت فرحلت إلي بيت زوجها في صعيد مصر بعد ذلك.
انظر: نبيل عواد المزيني: أخت الإمام الْمُزَنِيّ وأم الإمام الطحاوي ،
http://www.almostaneer.com/Pages/BhothDetails.aspx?ID=45

(72) الإسنوي: طبقات الشافعية، ج١ ص ٣٢ ـ السيوطي: حسن المحاضرة، ص ٣٩٩.

سار فقهاء الشافعية بمصر الطولونية في مؤلفاتهم الفقهية على نهج أستاذهم في الكتابة العلمية، فأتوا بالآيات أو الأحاديث وشرحوها، ثم استنبطوا منها ما ينتهي إليه رأيهم، واختاروا من الألفاظ الجياد الدقيقة ما يلائم المعاني، وحولوا عبارات الشافعي وأقواله إلى نصوص علمية، محذوفة السند، كالتي نراها في مختصر الْمُزنِيّ، الذي أخذ كلام الشَّافِعِيّ وفهمه وكتبه على طريقة أستاذه دون أن يأتي بالأسانيد، فوجدت بذلك روح الكتابة عند الفقهاء(٧٣). والدليل على ذلك، أن القاضي بكار بن قُتَيْبَة (ت ٢٧٠هـ/ ٨٨٣م) صنف كتابًا رد فيه على الإمام الشَّافِعِيّ في ردّه على الإمام أبي حنيفة، وسبب تصنيفه أنّه نظر في مختصر الْمُزنِيّ فوجد فيه ردّا على أبي حنيفة(٧٤).

ناظر فقهاء الشافعية في العصر الطولوني بمذهبهم وعنه، ورووا مناظرات أستاذهم التي علمها لهم، حيث كانت مناظراته تعقد بينه وبينهم وتناولوا فيها "مآخذ الأئمة، ومسارات اختلافهم ومواقع اجتهادهم" وكان يقول لتلاميذه: "إذا ذكرت لكم ما لا تقبله عقولكم فلا تقبلوه"(٧٥)، وقد توصلوا من خلال هذه المناظرات إلى كثير من الأحكام الفقهية، وتعلموا الطرق العلمية في النقد وحرية التفكير في أدلة المسائل وبراهينها.

شهد العصر الطولوني العديد من المناظرات العلمية بين فقهاء الشافعية والمذاهب الأخرى، فساعد ذلك على نشاط الحركة الفكرية، ومن أشهر المناظرات تلك التي جرت بين أحد أصحاب القاضي بكار بْن قُتَيْبَة الحَنَفِيُّ المذهب– قاضي مصر – مع **الْمُزنِيّ** عن تحليل

---

(73) المسعودي: مروج الذهب، ج٤ ص ١١٨ ـ محمد كامل: أدب مصر، ص ٥٤.

(74) انظر التفاصيل: محيي الدين الحنفي: الجواهر المضية في طبقات الحنفية، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، دار الهجر، القاهرة، ١٩٩٣م، ج١ ص ١٧٠ ـ المقريزي: المقفى الكبير، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ٢٠٠٦م. ج٢ ص ٢٦١.

(75) صفي: الحركة، ص ٢٤٠، ٢٤٢.

النبيذ وتحريمه وتقديم التحريم على التحليل، وقد رد فيها الْمُزنِيّ بأنه وَقع الِاتِّفَاق عَلَى أَنه كَانَ حَلَالا ثم حُرم وأن هَذَا يعضد صِحَة أَحَادِيث التَّحْرِيم، فاستحسن بكار ذلك منه[٧٦]، وأعجب برأيه وقال: "سبحان الله أن يكون كلام أدق من الشعر فهو هذا"[٧٧]، وقد وصف الْمُزنِيّ بأنه مناظر، مِحْجَاج، غَوَّاص عَلَى المَعَانِي الدَّقِيقَةِ[٧٨].

تأثر بفقهاء الشافعية في مصر غيرهم من فقهاء المذاهب الأخرى، ولا سيما المالكية، ومنهم عَالِمَ الدِّيَارِ المِصْرِيَّةِ فِي عَصْرِهِ مَعَ المُزَنِي الفقيه المالكي[٧٩] **مُحَمَّد بْن عَبْد اللَّه بْن عَبْد الحكم** بْن أعين بْن لَيْث الإِمَام أَبُو عَبْد اللَّه الْمصْرِيّ (ت ٢٦٨هـ/ ٨٨١م) صاحب كِتَاب (الرَّد عَلَى الشَّافِعِي فِيمَا خَالف فِيهِ الْكتاب وَالسّنة)[٨٠]، الذي عده البعض لكثرة تأثره بالشافعي من تلاميذه، وكان ابن أعين شديد الإعجاب بالشافعي وآرائه الفقهية حتى إنه ألف كتابًا سماه "السنن على مذهب الشافعي"[٨١]، وكان يقول: "ما أحد ممن خالفنا- يعني المالكية

---

(76) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ص ٢١٨ ـ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٩ ص ١٤٢ ـ السبكي: طبقات الشافعية، ج٢ ص ٩٥.

(77) الكندي: الولاة والقضاة ص ٥١١ ـ محمد كامل حسين: أدب مصر الإسلامية، ص ٦٢، ٦٣.

(78) النووي: المجموع شرح المهذب، ج١ ص ١٠٧ ـ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٢ ص ٤٩٣ .

(79) اليحصبي: ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق: عبد القادر الصحراوي، مطبعة فضالة، المغرب، ١٩٧٠م.ج٤ ص ١٥٧ ـ قاسم مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تحقيق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م. ج١ ص ١٠١.

(80) السبكي: طبقات الشافعية، ج٢ ص ٦٩ ـ ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، ج٩ ص ٢٦١ ـ الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢م. ج٦ ص ٢٢٣.

(81) ابن حجر العسقلاني: في مناقب الشافعي توالي التأسيس لمعالي محمد ابن ادريس، تحقيق: أبو الفداء عبد الله، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٦م، ص ٢٥٨، ٢٥٩ ـ محمد كامل حسين: أدب مصر الإسلامية، ص ٥٧ ـ حسن: الحضارة، ص ١٢٦.

ـ أحب إلي من الشافعي" . وقال:" لو رَأَيْتَ الشَّافِعِيَّ يُنَاظِرُكَ لَظَنَنْتُ أَنَّهُ سَبُعٌ يَأْكُلُكَ، وَهُوَ الَّذِي عَلَّمَ النَّاسَ الحُجَجَ"(٨٢).

٢- في علم الحديث:

لم يقتصر دور فقهاء الشافعية في الحياة الفكرية في العصر الطولوني على نشاطهم الفقهي، بل كان لهم إسهاماتهم في **علم الحديث** أيضًا؛ **فالربيع الجيزي** كان كثير الحديث مأمونًا ثقة(٨٣)، روى عن عبد الله بن عبد الحكم كثيرًا، وقلت روايته عن الشافعي(٨٤)، ومن مروياته القليلة عنه قوله: "قِرَاءَة الْقُرْآن بالألحان مَكْرُوهَة"(٨٥)، كما روى الجيزي عن عبد الله

---

(82) كَانَ الشَّافِعِي معجبا بِهِ لفرط ذكائه وحرصه عَلَى الْفِقْه وروى عنه كثيرا، حتى أنه في مرة نظرَ الشَّافِعِيُّ إليه، وَقَدْ رَكِبَ دَابَّتَهُ، فَأَتبعَهُ بصرَهُ وَقَالَ: "وَدِدْتُ أَنَّ لِي وَلداً مِثْلَهُ وَعَلَيَّ أَلْفَ دِينَارٍ لاَ أَجِدُ قَضَاءهَا" وقد توقع الشافعي رجوعه إلى مذهب أبيه.

انظر: البيهقي: مناقب الشافعي، ج٢ ص١٣٦ ـ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢ ص ٢٩١ ـ الصفدي: الوافي، ج٢ ص ١٢٢ ـ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٠ ص ٥٠ – السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٢ ص ٩٤ ـ ابن كثير: طبقات الشافعيين، ج١ ص ١٩ ـ سيدة كاشف: أحمد بن طولون، ص ٢٣٣.

(83) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١٤ ص ٥٧ ـ ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج٣ ص ٢٤٥.

(84) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢ ص ٢٩٢ ـ الصفدي: المصدر السابق، ج١٤ ص ٥٧ – ابن كثير: طبقات الشافعيين، ج١ ص ١٣٤ .

(85) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٢ ص ١٣١ ـ ابن قاضي شبهه: طبقات الشافعية، ص ٦٥.
وقد ذكر النووي شرح المراد من الشافعي بالكراهة، وهو: "أَنْ يُفَرِّطَ فِي الْمَدِّ وَفِي إِشْبَاعِ الْحَرَكَاتِ حَتَّى تَتَوَلَّدَ مِنَ الْفَتْحَةِ أَلِفٌ، وَمِنَ الضَّمِّ وَاوٌ، وَمِنَ الْكَسْرَةِ يَاءٌ، أَوْ يُدْغِمَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِ الْإِدْغَامِ، فَإِنْ لَمْ يَنْتَهِ إِلَى هَذَا الْحَدِّ، فَلَا كَرَاهَةَ. أما إِذَا أَفْرَطَ عَلَى الْوَجْهِ الْمَذْكُورِ، فَهُوَ حَرَامٌ، حيث يُفَسَّقُ بِهِ الْقَارِئُ، وَيَأْثَمُ الْمُسْتَمِعُ؛ لِأَنَّهُ عَدَلَ بِهِ عَنْ لَهْجَةِ التَّقْوِيمِ".
انظر: النووي: روضة الطالبين وعمدة المفتين، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٩١م. ج١١ ص ٢٢٧.

بن وهب، وَإِسْحَاق بن وهب وَعبد الله بن يُوسُف التنيسي وأبي الأسود النضر بن عبد الحميد وَغَيرهم[٨٦]، وقد روى عَنهُ أَبُو دَاوُد والنسائي وَأَبُو بكر بن أَبى دَاوُد وَأَبُو جَعْفَر الطحاوي وابن أبي داود، وأبو بكر الباغندي وَغَيرهم.

عرف الشافعية للربيع مكانته في الحديث، فقدموه على **المُزَنِيَّ** الذي كان أعرف بالفقه مِنْهُ[٨٧]، وإذا تعَارضت رِوَايَتهما قدموا رِوَايَة الربيع على الرغم من علو قدر الْمُزنِيّ علما ودينا وجلالة وموافقة مَا رَوَاهُ للقواعد[٨٨].

أما **المُزَنِيَّ** فكان– رغم تأخر مرتبته في الحديث عن الربيع– صدوقًا وثقة، فحَدَّثَ عَنْ "الشَّافِعِيِّ، وَعَنْ عَلِيِّ بنِ مَعْبَدِ بنِ شَدَّادٍ، وَنُعَيْمِ بنِ حَمَّادٍ، وَغَيْرِهِم. وَهُوَ قَلِيْلُ الرِّوَايَةِ. ورَوَى عَنهُ أَبُو بَكْرٍ بنُ خُزَيْمَةَ، وَأَبُو الحَسَنِ بنُ جَوْصَا، وَأَبُو بَكْرٍ بنُ زِيَادٍ النَّيْسَابُوْرِيُّ، وَأَبُو جَعْفَرٍ الطَّحَاوِيُّ، وَأَبُو نُعَيْمٍ بنُ عَدِيٍّ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَأَبُو الفَوَارِسِ بنُ الصَّابُوْنِيِّ، وَخَلْقٌ كَثِيْرٌ مِنَ المشَارِقَةِ وَالمغَارِبَةِ[٨٩].

كان **يُونُس بن عبد الْأَعْلَى الصَدَفي المصري**، أشهر محدثي الشافعية زمن الطولونيين، وهو أحد رواة الحافظين، وقد حَدَّثَ عَنْ: "سُفْيَانَ بنِ عُيَيْنَةَ، وَعَبْدِ اللهِ بنِ وَهْبٍ، وَالوَلِيْدِ بنِ مُسْلِمٍ، وَمَعْنِ بنِ عِيْسَى، وَابْنِ أَبِي فُدَيْكٍ، وَأَبِي ضَمْرَةَ اللَّيْثِيِّ، وَبِشْرِ بنِ بَكْرٍ التِّنِّيْسِيِّ، وَأَيُّوْبَ بنِ سُوَيْدٍ، وَأَبِي عَبْدِ اللهِ الشَّافِعِيِّ، وَعَبْدِ اللهِ بنِ نَافِعٍ الصَّائِغِ، وَسَلاَمَةَ بنِ رَوْحٍ، وَمُحَمَّدِ بنِ عُبَيْدٍ الطَّنَافِسِيِّ، وَيَحْيَى بنِ حَسَّانٍ، وَأَشْهَبَ الفَقِيْهِ"[٩٠].

---

(86) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٢ ص ٥٩٢ –. السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٢ ص ١٣١ .

(87) الذهبي: المصدر السابق، ج١٢ ص ٥٨٨ ـ ابن قاضي شبهة: طبقات الشافعية، ج١ ص ٦٥.

(88) انظر التفاصيل : السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٢ ص ١٣١ ـ ١٣٣.

(89) الذهبي: سير أعلام، ج١٢ ص ٤٩٣، ٢٩٥ ـ المصدر السابق، ج٢ ص ٩٣ .

(90) الذهبي: المصدر السابق، ج١٢ ص ٣٤٩ ـ ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب. ج١١ ص ٤٤٠.

روى عَن يونس خلق كثير، فقد روى عنه: "مُسْلِمٌ، وَالنَّسَائِيُّ، وَابْنُ مَاجَهْ، وَأَبُو حَاتِمٍ، وَأَبُو زُرْعَةَ، وَبَقِيُّ بنُ مَخْلَدٍ، وَابْنُ خُزَيْمَةَ، وَأَبُو بَكْرٍ بنُ زِيَادٍ النَّيْسَابُوْرِيُّ، وَأَبُو عَوَانَةَ الإِسْفَرَايِيْنِيُّ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَعُمَرُ بنُ بُجَيْر، وَأَبُو جَعْفَرٍ بنُ سَلاَمَةَ الطَّحَاوِيُّ، وَأَبُو الطَّاهِرِ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدٍ الخَامِيُّ، وَأَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بنُ سُفْيَانَ بنِ سَعِيْدٍ المِصْرِيُّ المُؤَذِّنُ، وَأَبُو الفَوَارِسِ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدٍ السِّنْدِيُّ" وغيرهم فكان ثقة[٩١].

تصدر محدثو الشافعية لإملاء الحديث في جامع أحمد بن طولون، ويعتقد بعض الباحثين أن أول من تصدر لذلك كان الربيع الجيزي[٩٢]، ولكن المصادر التاريخية القديمة تكاد تجمع على أنه كان **الربيع بن سليمان المرادي**[٩٣]، حيث استدعاه أحمد بن طولون للتدريس في الجامع الذي جعله دارًا للعلم ونقل إليه القراء والفقهاء فضلاً عن كونه مكانًا للعبادة، وقد كان الربيع يُدرس في جامع الفسطاط[٩٤]، وبالفعل بعد صلاة أول جمعة في الجامع بعد اكتماله، جلس الربيع وألقى فيه درسًا يتضمن حديث النبيّ صلّى الله عليه وسلّم:

([91]) النووي: روضة الطالبين، ج٧ ص ٥٠ ـ السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٢ ص ١٧٠.

([92]) وقد ذكرت د. سيدة كاشف في كتابها أحمد بن طولون أن أحمد أعطى كيساً للربيع الجيزي.
انظر: أحمد بن طولون، ص ٢٣٣.
كما ذكر د. عبد العظيم رمضان في كتابه المدارس، أن الربيع الجيزي هو الذي قام باملاء الحديث في جامع ابن طولون، ووجدنا أنه رجع إلى المقريزي والسيوطي على الرغم من أن الاثنين ذكروا أنه الربيع المرادي.
انظر: المدارس في مصر الإسلامية، ص ٩٢.

([93]) المقريزي: الخطط، ج٤ ص ٤٠ ـ السيوطي: طبقات الحفاظ، ص ٢٥٦ ـ محمود عكوش: تاريخ ووصف الجامع الطولوني، ط١، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٧م، ص ٢٩ ـ محمود رزق محمود: المجتمع المصري في العصر الطولوني، ص ٢٧٨ ـ هويدا عبد العظيم: المجتمع، ج٢ ص ١٦٢ ـ رشاد: الفقهاء في مصر الإسلامية، ص ٥١.

([94]) أحمد امين: ظهر الإسلام، ج١ ص ١٧٠ ـ صفي ص ٧١.

«من بنى لله مسجدًا ولو كمفحص قطاة، بنى الله له بيتًا في الجنة»[٩٥]، وقد جلس أحمد بن طولون في مجلسه، هو وغلمانه والحجاب، وبعد انتهاء المجلس أرسل إلى الربيع غلامه بكيس فيه ألف دينار هدية لولده[٩٦]، فكان الربيع بذلك مصدر حركة علمية دينية كبيرة[٩٧].

روى الربيع عن أعلام كثر حتى إنه قال عن نفسه: "كُلُّ مُحَدِّثٌ حَدَّثَ بِمِصْرَ بَعْدَ ابْنِ وَهْبٍ كُنْتُ مُسْتَمْلِيَهُ[٩٨]، وقد روى عَن "أَسد بن مُوسَى وَأَيوب بن سُوَيْد الرَّمْلِيّ وَشُعَيْب بن اللَّيْث وَعبد الله بن وهب وَعبد الله بن يُوسُف التنيسِي"[٩٩]. أما المحدثون عَنْه فهم "أَبُو دَاوُد وَالنَّسَائِيّ وَابْن مَاجَه والطَّحَاوِي وزَكَرِيا السَّاجِي وَابْن أبي حَاتِم وَأَبُو زرْعَة الرَّازِيّ وَأَبُو معد عدنان بن أَحْمد بن طولون وَأَبُو الْعَبَّاس الْأَصَم وروى عَنهُ التِّرْمِذِيّ إجَازَة" وغيرهم لأنه صدوق وثقة[١٠٠]. وقد صار قِبلةَ أنظار المُحَدِّثين من الأقطار المختلفة، فرحلوا إلى مصر يأخذون عنه.

كان **لكُنَيز بن عبد الله** إسهاماته في علم الحديث أيضًا، فحدث عن يحيى بن عثمان بن صالح المصري والحسن بن محمد الزعفراني وداود ابن علي الظاهري وحرملة بن

---

(95) المقريزي: الخطط ج ٤ ص ٣٩.
المفحص: هو الموضع التي تقيم فيه القطاة، وتبيض كأنها تفحص عنه التراب وتكشفه.
انظر: محمود عكوش، الجامع الطولوني، ص ٢٩.

(96) المقريزي: الخطط ج ٤ ص ٣٩.

(97) أحمد أمين: ظهر الإسلام، ج١ ص ١٧٠.

(98) الذهبي: تذكرة الحفاظ، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٩م.ج٢ ٥٨٧ ـ ابن الزكي المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣م. ج٩ ص ٤٠٨.

(99) الذهبي: المصدر السابق، ص ٢٥٦ ـ صفي ص ٢٤٧.

(100) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٢ ص ٥٨٨ – ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، ج٣ ص ٢٤٦.

يحيى والربيع بن سليمان المرادي. وروى عنه أبو علي الحسن بن حبيب الحصائري وأَبُو الْقَاسِم الطبرانى وغيره[١٠١].

٣- علم القراءات:

أتقن بعض الشافعية بمصر الطولونية أيضًا **علم القراءات**[١٠٢] كأستاذهم، وكان لهم إسهاماتهم فيه، **فيونس بن عبد الأعلى الصدفي** المصري قرأ القرآن في مصر[١٠٣] برواية متواترة هي رواية وَرْش عن نافع[١٠٤]، وقد روى **الربيع الجيزي** قراءة يونس ورواه عن الربيع جعفر بن أحمد البزاز أبو العباس المطوعي ومحمد بن إبراهيم بن زاذان[١٠٥]، أما **الربيع بن سليمان المرادي** فكان شَيْخُ المُؤَذِّنِينَ بِجَامعِ الفُسْطَاطِ– عَمْرو بن الْعَاصِ– ولم يؤذن أحد

([101]) ابن عساكر: تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة، دار الفكر، بيرت، ١٩٩٥م. ج٥٠ ص ٢٦١ ـ السبكي: طبقات الشافعية، ج٢ ص ٣٤٦.

([102]) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وإفريقية، تحقيق: حسين عاصي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت. ج ١٥ ص ٤١– سيدة كاشف: مصر في عصر الولاة، ص ١٨٤.

([103]) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٢ ص ٣٤٩ ـ السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٢ ص ١٧٠ ـ انظر تفاصيل من روى القراءة عنه. الصفدي: الوافي، ج٢٩ ص ١٨٣ – ابن الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق: ج برجستراسر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٣٣م. ج٢ ص ٤٠٦.

([104]) كل القراءات بمصر رواية عن نافع، نقلها عنه إلى مصر عثمان بن سعيد المصري الملقب بورش ، فهو عثمان بن سعيد بن عبد الله بن عمرو بن سليمان بن إبراهيم القرشي مولى لآل الزبير بن العوام، كان أصل أجداده من الأقباط، ثم اعتنقوا الدين الإسلامي، ولد ورش بمصر سنة ١١٠هـ، واشتغل بقراءة القرآن وتعلم العربية، ورحل إلى المدينة فقرأ بها على نافع سنة ١٥٥هـ . ثم عاد إلى مصر وانتهت إليه رياسة الإقراء فيها وتوفى سنة ١٩٧هـ.

انظر: ياقوت الحموي: معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣م. ج٥ ص ٣٣– محمد حسين: الأدب، ص ٣٦ – سيدة كاشف: فجر الإسلام، ص ٣٢٨ .

([105]) ابن الجزري: غاية النهاية، ج٢ ص ١٤٠.

قبله في جامع مصر، كما كان مستملِي مَشَايِخِ وَقْتِهِ[١٠٦]، وكان يقرأ بالألحان[١٠٧]، وقد تصدى للإقراء فشارك في تعليم المصريين قراءة القرآن.

٤- علم التفسير:

كان للشافعية في مصر الطولونية دورهم أيضًا في علم التفسير، وبخاصة في نشر ما أُثر عن أستاذهم من تفسير لبعض آيات القرآن الكريم؛ إذ عمل شافعية مصر الطولونية من بعده على نشر هذه التفاسير، وحدثوا بها في مجالسهم، ومن ذلك ما رواه **الْمُزْنِيّ** عن الشافعي في تفسير قوله عز وجل (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ)[١٠٨] ، قال: معناه ما تقدم من ذنب أبيك آدم وهبته لك وما تأخر من ذنوب أمتك أدخلتهم الجنة بشفاعتك[١٠٩].

كذلك روى **الربيع بن سليمان المرادي** تفسير الشافعي لبعض الآيات، ومن ذلك ما رواه في تفسيره لقوله عز وجل (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ)[١١٠]، قال: معناه الخوف: خوف العدو والجوع: جوع شهر رمضان ونقص من الأموال: الزكوات والأنفس: الأمراض، والثمرات: الصدقات، وبشر الصابرين على أدائها([١١١]).

([106]) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٢ ص ٥٨٧.

(107) المصدر السابق، ج١٢ ص ٥٨٨ – السبكي: طبقات الشافعية، ج٢ ص ١٣٤.

(108) سورة الفتح، الآية رقم ١.

(109) البيهقي: أحكام القرآن للشافعي، كتب هوامشه: عبد الغني عبد الخالق، قدم له: محمد زاهد الكوثري، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٤م. ج١ ص ٣٨.

(110) سورة البقرة، الآية رقم ١٥٥.

(111) البيهقي: أحكام القرآن للشافعي، ج١ ص ٣٩.

رابعًا: إسهامات الشافعية في مجال العلوم اللغوية والأدبية:

١- في اللغة والشعر:

لم تتوقف إسهامات الشافعية في الحياة الفكرية في مصر الطولونية عند العلوم الشرعية، بل امتدت إلى العلوم الأدبية واللغوية التي استفادوها من أستاذهم الشافعي الذي كان بصيرًا بالعربية وحجة تؤخذ منه اللغة[١١٢]، وقد أوصاهم بحفظ اللغة وشعرها لأنه كان يرى أن "من حفظ العربية والشعر رق طبعه"[١١٣].

ويمكن القول إن مجالس الشافعية العلمية بمصر الطولونية كانت كمجالس أستاذهم مزيجًا من علوم الدين والأدب واللغة[١١٤]، وقد رووا شعرهم وشعر غيرهم في هذه المجالس، **فالربيع الجيزي** الذي كان من خيرة تلاميذ الشَّافِعِيّ والمشهود لهم بالعلم حفظ عيون الأدب، كما كان **يونس بن عبد الأعلى** يروي أشعار الشَّافِعِيّ[١١٥]، وكان **الْمُزنِيّ** يحفظ الشعر ويكتبه وبالأخص شعر الحكمة؛ ويستشهد به عندما تأتي مناسبته[١١٦]، كما كان **الربيع بن سليمان المرادي** يقول الشعر[١١٧].

([112]) الرازي: مناقب الشافعي، ص ٢٣٩ –صفي: الحركة، ص ٢٣٣.

([113]) المرجع السابق، ص ٢٢٩.

([114]) **انظر**: الرازي: مناقب الشافعي، ص ٣٥– أبو زهرة: الشافعي حياته وعصره، ص ٣٥ ـ صفي، ص ٢٤٠.

([115]) مما كان يرويه قوله: ما حكَّ جلدكَ مثلُ ظفركَ فَتَوَلَّ أَنْتَ جَميعَ أمركْ
وإذا قصدْتَ لحاجَةٍ فاقْصِدْ لمعترفٍ بقدْرِكْ
هويدا عبد العظيم: المجتمع، ج٢ ص ١٦٢.

([116]) من أجمل أشعاره في الحكمة قوله: لا خيرَ في حلمٍ إذا لم يكن له ... بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكدَّرا
ولا خيرَ في جهلٍ إذا لم يكن له ... حليمٌ إذا ما أَوْرَدَ الأمر أَصْدَرا
ويذكر محمد بن إسماعيل بن إسحاق بن بحر أنه سمع الْمُزنِيّ يقول هذا الشعر عندما مر بقوم يشربون النبيذ على شاطئ النهر، فأراد أن يعظهم وينكر عليهم فعل ذلك.
انظر: البيهقي: مناقب الشافعي، ج٢ ص ٣٥٥.

([117]) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١٤ ص ٥٧.

ومن فقهاء الشافعية الذين برعوا في الشعر **مَنْصُور التَّمِيمِي**، المعروف بمنصور الفقيه، وكانت أشعاره موجزة لكنها كانت بمقام الحكم والأمثال[١١٨]. وقد لوحظ في شعره مدى دقته في اختيار ألفاظه التي يسهل ترديدها لدى العامة من الناس وخاصتهم فلم يكن في زمانه مثله[١١٩]، وله شعر مشهور في إخلاف الوعد[١٢٠]، كما أن له شعر في الهجاء وهو فيه خبيث اللسان[١٢١].

لقد كان شافعية مصر الطولونية، كأستاذهم، شعراء يتذوقون الشعر، فساعدهم ذلك على اختيار ألفاظهم بدقة وعناية لتعبر عن هدفهم الديني والروحاني وإن بقي شعرهم أقرب إلى شعر العلماء من شعر الشعراء المحترفين، فجاء في أغلبه مواعظ تكاد تخلو من العاطفة والتصوير والخيال بلغة اصطلاحية تقريرية[١٢٢].

٢- في النحو:

لا تمدنا المصادر بجهود نحوية لفقهاء الشافعية في مصر الطولونية، وإن كان من المؤكد أن تلاميذ الشافعي في مصر كان لهم اجتهادات نحوية، وبخاصة أنهم كانوا من

([118]) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٣ ٣١٣ -. ربيع رشاد : الفقهاء في مصر الإسلامية، ص ٣٠٠.

([119]) **انظر**: البلوي: سيرة أحمد بن طولون، ص ٢٢٣ ـ ابن قاضي شهبة: طبقات الشافعية، ج١ ص ١٠٤.

([120]) يقول: من قال: لا في حاجة مطلوبة فما ظـلم.
وإنما الظ–الم من يقول: لا، بعد نعم.
ابن قاضي شهبة: المصدر السابق، ص ٢٢٣.

([121]) المصدر السابق، ص ١٠٤.

([122]) من شعره: صبرًا جميلاً ما أسْرع الفرجَا مَنْ صدَّقَ اللهَ في الْأُمُورِ نجَا
مـن خَشِيَ اللهَ لم يَنَلْهُ أَذَى ومَنْ رَجَا اللهَ كانَ حيْثُ رجَا.
البلوي: سيرة أحمد بن طولون، ص ٢٢.

الأصوليين، ومعلوم مدى الصلة بين علمي أصول الفقه وأصول النحو[١٢٣]، ويزيد يقيننا في ذلك أن أستاذهم **الشافعي**– رحمه الله– كان يقول لا أُسأل عن مسألة في الفقه إلا أجبت عنها من قواعد النحو[١٢٤].

٣- في التاريخ:

أسهم الشافعية أيضًا في علم التاريخ؛ إذ كان **الربيع الجيزي** من المؤرخين المصريين وله مؤلف أسماه "تاريخ الصحابة الذين نزلوا مصر"[١٢٥]. وعلى الرغم من عدم وصوله إلينا، فإن كتب التراجم حفظت لنا الكثير من مادته، وقيل إن هذا الكتاب كان النواة التي اعتمد عليها السيوطي في تأليف كتابه المشهور "درُّ السحابة فيمن نزل مصر من الصحابة"[١٢٦].

**** الخـاتمـــة**:

تبين لنا من خلال البحث أن فقهاء الشافعية كان لهم دور مهم في إثراء الحياة الفكرية في مصر في العصر الطولوني؛ وقد ساعدهم على ذلك تشجيع الطولونيين ورعايتهم لهم وحرية التعبير والإبداع التي منحوها للعلماء وأصحاب المذاهب من أجل النهوض بالفكر، وتحقيق النهضة الثقافية في عصرهم، وقد استغل فقهاء الشافعية هذا المناخ، ورسخوا قدم مذهب أستاذهم، وحققوا إنجازات فكرية في العلوم الشرعية فقهًا وأصولا وحديثًا وتفسيراً، وفي العلوم الأدبية واللغوية والتاريخ، وتركوا بصمات واضحة في هذه العلوم للعصور اللاحقة.

---

(123) النعيم محمد أحمد إبراهيم: أثر العلاقة بين أصول الفقه وأصول النحو، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة السودان، ٢٠١٥م. ص ٥٤.

(124) ابن العماد: شذرات الذهب، ج٢ ص ٤٠٧.

(125) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت، ١٩٦٠م. ج٤ ص ٤٧١ ـ السيوطي: حسن المحاضرة، ص ٥، ٥٥٣.

(126) انظر التفاصيل: درُّ السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة، تحقيق: حمزة النشرتي وآخرون، المكتبة القيمة، القاهرة، د.ت. ص ٢٣ ـ حسن المحاضرة، ج١ ص ١٦٦ ـ ربيع رشاد: الفقهاء في مصر الإسلامية. ص ٣٣٧.